حين تسكنك الأشياء

الفجوة بين من نظنه نحن، ومن نحن حقًا

رواية

نهيلة الزهيري

حين تسكنك الأشياء

الفجوة بين من نظنه نحن, و من نحن حقا

ذ. نهيلة الزهيري

جميع الحقوق محفوظة © للمؤلفة: نهيلة الزهيري
لا يُسمح بنسخ أو نشر هذا العمل أو جزء منه بأي وسيلة دون إذن خطي مسبق من المؤلفة.
الطبعة الأولى – 2025

إهداء

حين تسكنك الأشياء

إلى من ظنّ أن الماضي مجرد ذكرى،

وإلى من حمل الخوف في صدره دون أن يدري من أين أتى،

إلى أولئك الذين تسكنهم أشياء لا اسم لها،

ثم وجدوا في الحكاية مرآة...

أهديكم هذه الرواية.

المقدمة

ا

في زوايا الذاكرة، تختبئ أشياء لا نملك لها أسماء...
أصوات، وجوه، مواقف... شعور بأن شيئًا ما لم يُقَل.

هذه ليست حكاية عن قرية مسكونة،
بل عن قلوب سكنتها أشياء لم تُفهم.

"حين تسكنك الأشياء"
ليست فقط رحلة رعب، بل كشفٌ بطيء للداخل المهجور.
رحلة تُذكّرنا أن أكثر الكيانات رعبًا،
هي تلك التي تعيش فينا، بهدوء... حتى نستدير.

تمهيد

هناك قرية على حافة النسيان،
لا يظهر اسمها في الخرائط، ولا يتحدث عنها الناس.
لكنها حقيقية... بقدر ما نخفيه.

أناسها طيبون، صامتون، لا يتغيرون.

الغريب حين يدخلها يشعر أنه ليس وحده،
بل أن هناك شيئًا ما يسكنه فجأة.

تبدأ الأصوات... ثم الأحلام...
ثم تأتي الرسالة.

في هذا المكان، لا تهرب من الرعب،
بل تغرق فيه...
لأنه يأتي من حيث لا تتوقع:

من داخلك.

الرسالة الأولى

"كلما حاولت الهروب من نفسي... وجدتني هناك، في الانتظار."

كان المساء هادئًا، أكثر مما يحتمل.

جلس آدم شرف الدين إلى طاولته الخشبية العتيقة، يحدق في فنجان قهوة نسي أن يشربه. كانت الستائر نصف مسدلة، والضوء الخافت يتسلل من المصباح المعلق فوقه، يعكس ظلّه على الجدار، كأن الجدار نفسه يراقبه.

منذ سنوات وهو يسكن هذه الشقة، لم يغير فيها شيئًا: الصور ذاتها، الكتب ذاتها، الصمت ذاته. لكنه في ذلك اليوم أحس وكأن ثمة شيئًا قد تَغَيَّر... لا في المكان، بل فيه.

عندما فتح الدُرج ليسحب دفتر ملاحظاته، وجد ورقة مطوية بعناية. لم تكن هناك بالأمس. مدّ يده بتردد، فتحها...
كانت الرسالة قصيرة. بخط يعرفه... ويجهله في آن.

> "آدم،
مرّت سنوات طويلة منذ آخر مرة تحدثنا فيها.
كيف حال الجزء منك الذي لم تَعُد تزوره؟"

جف ريقه. قلبه دقّ ببطء، كما لو أنه يتعلّم الخوف لأول مرة.
نظر حوله. الشقة صامتة، لا شيء يوحي بوجود أحد.
لكن الرسالة كانت حقيقية. ملموسة. كأنها تقول له: "لا جدوى من الاختباء".

أعاد قراءتها. ثم جلس. ثم ضحك بصوت خافت.
– "حسنًا... من أنت؟ وما الذي تريده؟"

لكن لا أحد أجابه.

في اليوم التالي، وهو يصحح مقالة عن "الهوية والوعي"، توقّف فجأة. إحدى الجمل في النص كانت مألوفة...
نعم، إنها مشابهة لما كان يقوله لرفيقه القديم، "يوسف"، قبل أن يختفي عن حياته دون أثر.
مرّت ذكرى يوسف كطيف... لكنه لم يستطع تجاهلها.

في تلك الليلة، وُضعت رسالة أخرى عند باب غرفته.

> **"هل تذكر الليلة التي تركتَ فيها الباب مفتوحًا... وقلت إنك نسيته؟**
> **لم يكن نسيانًا يا آدم. كان انتظارًا."**

نهض دفعة واحدة. فتح الباب. لا أحد.
الدرج نظيف. الهواء ساكن. لكنه شعر بشيء يتحرك داخله.

ولأول مرة منذ زمن طويل، خاف من أن يكون وحده.

في الأيام التالية، تكررت الرسائل. كل واحدة كانت تزيح ستارًا عن ذكرى دفنها طويلاً.
عن ليلة سهر فيها على موت أبيه دون أن يودعه.
عن رسالة حب مزّقها قبل أن يقرأها.
عن نظرة في المرآة لم يفهمها قط.

لكن الرسالة الخامسة... كانت مختلفة.

> **"أنت لا تعاني من الوحدة يا آدم...**
> **بل من نفسك التي هجرتها، فهجرتك."**

وفي اليوم نفسه، بدأت الأشياء تختفي من الشقة: ساعة اليد، قلم قديم، كتاب يحمل إهداءً.
وكأن الرسائل تمحو ما لا يريد أن يتذكره.

في لحظة سكون، جلس وكتب:
"من أنت؟"
ثم وضع الورقة تحت وسادته، كما في الطفولة.
وفي الصباح، وجد الإجابة:

> "أنا ما تبقى منك حين ظننت أنك انتهيت."

باب لا يغلق

"أخطر الأبواب... تلك التي لا تراها، لكنها تظل مفتوحة بداخلك."

كانت المدينة مغمورة بضباب كثيف في ذلك الصباح. لم يكن ضباب طقس، بل شيئًا آخر، أقرب إلى الضباب الذي يغشى الذاكرة حين تتورط في تذكُّر ما لا ينبغي.

آدم شرف الدين جلس على مقعده المعتاد في المقهى المواجه للمكتبة الوطنية، وهو يقلب الرسالة الأخيرة مرارًا، كأن الحبر قد يكشف عن شيء إضافي لو نظر بتركيزٍ كافٍ.
رسالة لا تحمل توقيعًا، ولكنها تحمل نبرة يعرفها جيدًا... نبرة خذل بها نفسه.

– "أنا ما تبقى منك حين ظننت أنك انتهيت."

أعاد الجملة في ذهنه كدعاءٍ مقلوب... لكنه لم يفلح في نسيانها.
شعر أن الرسائل لا تفضح ماضيه فحسب، بل تُحييه.

في تلك اللحظة، اقترب منه رجلٌ غريب. ستينيّ، بهيئة مهملة بعض الشيء، عيناه واسعتان كأنهما قرأتا كل شيء، ولم تعودا تباليان.
جلس دون أن يُستأذن. سحب ورقة من جيبه ووضعها على الطاولة.

آدم لم يتحرك. ثم نظر إلى الورقة...
كانت نظيفة، لا كتابة فيها، لكن حدوده ارتجّت.

قال الرجل بصوتٍ هادئ:
– "بعض الرسائل تُكتب بالحبر، وبعضها بالحضور... أما أخطرها، فهي التي تُكتب بالغياب."

ثم قام وغادر، كأنه لم يأتِ.

في تلك الليلة، راود آدم حلمًا غريبًا:

كان يقف أمام باب خشبي قديم في ممر لا ينتهي.
في يده مفتاح، وفي قلبه سؤال:
"هل أفتحه... أم أتركه مغلقًا كي لا أُرى؟"

فتح الباب... ولم يجد شيئًا خلفه سوى مرآة.
لكن صورته فيها كانت ممزقة من المنتصف.

استيقظ ويده على قلبه.

وفي اليوم التالي، وجد ورقة على مرآته الواقعية:

> **"ليس كل باب يُفتح ليُدخل... بعض الأبواب تُفتح لتخرج منه أنت."**

الأسبوع الذي تلا الحلم، تغيّر شيء في ملامحه. لم يكن ظاهرًا لمن حوله، لكنه كان جليًا له:
أصوات الماضي بدأت تتسلل في كلماته.
الكتب التي أحبها لم تعد تطمئنه، والهدوء لم يعد عذرًا كافيًا للسكوت.

وفي ليلة رمادية، عاد إلى صندوقٍ قديم دفنه في السطح منذ سنوات.
كسر قفله، وفتح الغطاء... فطارت منه ورقة صفراء سقطت بين قدميه.
قرأها ويداه ترتجفان:

> **"سامح نفسك قبل أن تغفر للآخرين. فالذنب الأكبر أن تكون سجينًا للندم، لا للفعل."**

انهار على الأرض، كأن الرسائل بدأت تمزق جلده لا وعيه فقط.

في صباح اليوم التالي، لم يجد أي رسالة.
لكن كل شيء حوله كان يوحي بأنها ما زالت تُكتب... في الظلال، في الصمت، في نظرات الغرباء.

وقرر أخيرًا أن يكتب هو.

كتب:
"أنا جاهز. أخبرني أين أبدأ."

ووضع الورقة داخل كتابه الأقدم، وأعاده إلى رفّه.
ثم جلس، ينتظر...
ولأول مرة، لم يشعر بالخوف.

بل بالترقّب.

المرآة التي تنسى

"كلّ ما أنكرته في داخلك... سيظهر ذات يوم في ملامحك."

كانت الغرفة ساكنة كما اعتاد، لكن السكون لم يكن مريحًا هذه المرة.
آدم شرف الدين جلس أمام مرآته للمرة الأولى منذ أسابيع.
حدّق طويلاً في وجهه.
لم يرَ وجهه.

رأى ملامح قديمة: عيني والدته وهي تبكي دون أن تتكلم،
ضحكة شقيقه الذي مات دون أن يعتذر له،
نظرة حبيبته التي تركها في محطة القطار دون تفسير.

الرسائل كانت تفعل شيئًا لا يراه...
كأنها تمسح الغبار عن قلبه ليُبصر ما تجاهله عمداً.

في تلك الليلة... لم تأتِ رسالة مكتوبة.
بل سُمِع صوتٌ في البيت، خافت، كأنه من داخله.
– "كم مرة تظاهرت بأنك بخير... حتى صدّقت الكذبة؟"

ارتعش جسده، فرك عينيه، نهض.
فتح النوافذ، بحث عن أي أحد، فلم يجد.

لكن حين عاد إلى غرفته، وجد على وسادته ورقة صغيرة، لا حبر فيها. فقط محفور عليها بالضغط:

> **"لا أحد يهرب من المرآة...**
> **وحدهم من واجهوا أنفسهم، ينجون."**

في اليوم التالي، وبينما يُقلب أوراقًا قديمة في مكتبة الحي، سقطت منه صورة بالأسود والأبيض.
كانت له... صغيرًا، يقف في حضن رجلٍ لم يتذكره فورًا.
لكن في الخلف كُتب:
"إلى آدم... الذي يشبهني أكثر مما يظن."

كانت بخط أبيه.

عاد للبيت مسرعًا. بحث في صناديق الذكريات، فوجد شيئًا كان قد نسي أنه يحتفظ به:
شريط كاسيت مسجل عليه "صوت أبي – 1992".

أدخل الشريط في جهاز قديم يحتفظ به للحنين،
وانطلق الصوت:
– "آدم، إن سمعتني... فاعلم أن بعض الذكريات لا تُدفن، بل تنام فينا إلى أن نوقظها."

بدأت تتكشف له خيوط من الماضي:
– حادثة الليلة التي انكسر فيها زجاج الغرفة وسُمِع صراخ لم يُفسر.
– زائر غريب في طفولته، قال له جملة غريبة: "أنت تشبهه، لكنه لا يعرف بعد."
– دفتر أسود كان قد خَبّأه في الثانوية، كتبه كلّه بلغة رمزية، نسي معناها.

وفي نهاية اليوم، عادت الرسائل.
واحدة فقط... لكنها كانت بداية المرحلة الأخطر:

> **"أنت الآن عند العتبة يا آدم...**

إما أن تعبر، أو تظل خلف الباب، تنتظر من لن يعود."

ولم يكتب شيئًا هذه المرة.
فقط أغمض عينيه، وابتسم بهدوء غريب.

فهو يعرف أن العبور قد بدأ.

الذي كان يشبهني

"الذاكرة ليست صندوقًا... إنها مرآة مكسورة، كل قطعة تعكس وجعًا مختلفًا."

في تلك الليلة، لم ينم آدم.

جلس على الأرض، متكئًا إلى الجدار، يقلب دفاتر قديمة وشرائط كاسيت، محاولًا أن يجد رابطًا بين الرسائل، صوته، وصوت أبيه الذي لم يكن يتحدث كثيرًا، لكنه حين تكلم... حفر كلماته في الروح.

كانت الغرفة صامتة، إلا من صوت الشريط وهو يدور ببطء، وكأن كل ثانية تعيد خلق جملة غابت منذ سنوات.

ثم...
توقّف الشريط فجأة.

سمع طنينًا خفيفًا... ثم صوتًا لم يكن صوت والده.

كان صوتًا ناعسًا، لكنه عميق:

– "آدم... أتذكرني؟ أنا الذي كنتَ تكتب له في خيالك...
أنا لم أكن خيالًا يا صديقي، كنت مرآتك."

ارتجف آدم. أوقف الشريط، أخرجه. أعاده. لكن لا شيء.
وكأن الصوت لم يكن مسجلًا... بل قادمًا من مكانٍ آخر.

**

في صباح اليوم التالي، تلقى رسالة جديدة. هذه المرة، كانت مطوية بدقة، ومعلقة على باب شقته.

> "لك أن تختار، يا آدم:
أن تتابع حياتك كأن شيئًا لم يكن...
أو أن تنبش قبرك بنفسك."

فتح الورقة ووجد تحتها صورة... لمكان لم يره منذ أكثر من عشرين عامًا.

المنزل القديم.

البيت الذي ولد فيه، ثم غادره مع عائلته بعد الحادثة التي لم يتحدث عنها أحد.
البيت الذي كانت أمه تنظر إليه دائمًا من نافذة الحافلة... وتبكي.

**

وفي المساء، قرر أن يعود إليه.

ركب الحافلة المتجهة إلى الضواحي.
جلس في الخلف، قرب النافذة، تمامًا كما كان يجلس صغيرًا.

لكن الحافلة كانت خالية... ما عدا رجلًا واحدًا.

كان يجلس في الأمام، رأسه منحني، يقرأ كتابًا أسودًا صغيرًا.
وحين مرّ آدم بقربه، لمح الاسم على الغلاف:
"آدم شرف الدين – ملاحظات لم تكتب"

توقف.
لكنه حين التفت، لم يجد أحدًا.

لا الرجل، ولا الكتاب.

فرك عينيه. جلس. ظلّ يتنفس ببطء، يحاول استعادة اتزانه.

**

حين وصل إلى المنزل القديم، كانت الشمس تغرب.

البيت بدا كهيكلٍ مهجور، الأبواب متآكلة، والنوافذ محطمة،
لكن الغريب... أن بابًا واحدًا كان سليمًا.
باب الغرفة التي كانت له.

ودون تفكير، فتحه.

وجد نفسه في غرفة مرتبة، نظيفة، وفي وسطها...
كرسي، ومرآة.

نفس المرآة القديمة التي كُسر نصفها في الليلة المشؤومة.

اقترب ببطء.
وحين نظر فيها... لم يرَ نفسه.
رأى نسخة منه، أصغر، أنحف، بعيون ممتلئة خوفًا.

قالت له النسخة:
– "ما عدتُ أحتملك. أخرجني... أو أخرج أنت."

سقط أرضًا، يلهث، يئن، كأن قلبه يفرّ من صدره.

وفي الزاوية... كانت هناك ورقة جديدة.

> **"الذكرى الأولى لم تكن البداية... بل كانت أول نسيان.**
> **عد إلى ما قبلها... حين كنت أنت، قبل أن تصبح هذا الذي لا يعرف من يكون."**

**

عاد إلى الشقة فجرًا، محطمًا، يحمل ورقة واحدة،
وصمتًا جديدًا... لا يشبه الصمت الذي اعتاده.

صمتٌ يحمل بداخله وعدًا بشيء أعظم... أو أخطر.

صوت يشبهني كثيرا

"نحن لا نكسر حين نُجرَح، بل حين نُجبَر على تجاهل الجرح طويلاً."

كانت يداه ترتجفان طوال اليوم.
أعدّ قهوته كعادته... لكنّ الطعم تغيّر.
الضوء الذي يدخل من نافذته لم يعد بنفس اللون.
حتى نبتته المفضلة في الزاوية... ذبلت فجأة.

شيء ما تغيّر.
ولم يكن خارجه... بل في داخله.

في ذلك الصباح، قرر أن يفعل شيئًا لم يفعله منذ سنوات:
اتصل بأمه.

– "آدم؟"
– "نعم... أريد أن أسألك عن شيء."
– "هل هو عن البيت؟"
– "نعم. لمَ لم نعد إليه أبدًا؟"
– "آدم، لا تفتح هذا الباب."
– "لقد فُتح وحده، أمي..."

كان صوته مكسورًا... كأن كل الكلمات فيه كانت تنتظر إذنًا بالهروب.

قالت له بصوت خافت:
– "حين كنا نائمين في تلك الليلة، فتحت أنت الباب بنفسك.
وجدناك نائمًا في الحديقة، أمام الشجرة.
كنت تهمس بشيء ما... وتضحك.
ومنذ ذلك اليوم، تغيّرت."

**

صمت.
تلك الحادثة... لا يذكرها.

بل لا يذكر من طفولته سوى لمحات:
– عينين تحدقان فيه من المرآة.
– أصواتًا تأتي من الخزانة.
– كلمة واحدة تكررت كثيرًا... "هو يشبهني".

من هو؟
ومن الذي كان يهمس له في الحديقة؟
ولماذا لم يشعر بالخوف؟

**

في تلك الليلة... لم تصله رسالة.
بل حلم.

رأى نفسه في بيت قديم، يجلس أمام طفل صغير...
الطفل يشبهه تمامًا، لكنه كان يرتدي قميصًا أسود.
كان الطفل يكتب شيئًا على الجدار بأصابعه:

> **"لقد حاولت أن تنساني، لكنني كنت أكتبك من جديد."**

ثم التفت إليه، وقال:

– "كل الرسائل التي تقرؤها... كتبتها أنت."

استيقظ وهو يلهث.

ركض إلى خزانة كتبه.
فتح دفترًا قديمًا... لم يلمسه منذ سنوات.

وفي الصفحة الأولى... وجدها.

نفس الكلمات التي وصلته في الرسائل، مكتوبة بخط يده، منذ تسع سنوات.

**

هل كان يكتب هذه الرسائل لنفسه؟
أم كانت تُكتب من خلاله؟
من أين يأتي هذا الصوت؟
أهو هوس؟ أم وعيٌ كان نائمًا؟

**

وبينما هو غارق في تأملاته، رنّ جرس الباب.

فتح... فوجد فتاة تقف بثبات، تحمل بيدها ظرفًا.

قالت بهدوء:
– "هل أنت آدم شرف الدين؟"
– "نعم... من أنتِ؟"
– "أنا أبحث عن نفس الرسائل."

ارتبك، حاول أن يسألها، لكنها أعطته الظرف...
وقالت:
– "ستفهم حين تقرأ. فقط... لا تتأخر."

**

أغلق الباب ببطء، فتح الظرف...
وكانت فيه ورقة جديدة:

> "لن تنجو وحدك.
إذا أردت النجاة... ساعدها أن تنجو أيضًا."

**

رفع رأسه... لكنه لم يجدها.
كانت قد اختفت.
لكن شيئًا فيه تغيّر هذه المرة.

لم يعد وحده في هذا الجنون.

الغرفة رقم (0)

"كلنا نحمل غرفة في داخلنا... مغلقة، صامتة، لا يطرق بابها أحد، لكنها تراقب."

في المساء، جلس آدم في زاويته المعتادة.
لكنه لم يكن يقرأ... كان ينصت.

كأن هناك صوتًا خلف الجدران، ليس واضحًا، لكنه متكرر...
همسٌ يشبه صوت تنفسه، يعلو كلما صمت.
كأن شيئًا ما... يراقبه من الداخل.

**

أعاد قراءة الرسالة الأخيرة.
"لن تنجو وحدك... ساعدها أن تنجو أيضًا."

كانت تلك الجملة كضوء خافت في متاهة مظلمة.
لكن لمن تعود؟
ومن هي هذه "الفتاة"؟
كيف وجدت بيته؟
وما علاقتها بهذه الفوضى؟

**

خرج بعد منتصف الليل، متجهًا إلى المكان الذي لم يزره منذ سنوات:
المصحة القديمة.

ذلك المبنى المهجور الذي مكث فيه أسبوعين بعد نوبة انهيار مفاجئة وهو في السادسة عشرة.
لم يخبر أحدًا بتفاصيل ما رآه هناك.
لكن داخله، كان يعلم... أن المصحة ليست فقط مكانًا للعلاج.

بل كانت حبسًا مؤقتًا لذاكرته.

**

عندما دخل، كانت الروائح القديمة ما تزال عالقة.
الجدران المقشرة، الأرضيات المبلّلة، والهدوء الذي لا يشبه السكون، بل يشبه ما قبل العاصفة.

مشى ببطء نحو الممر الخلفي... حيث كانت الغرف المهجورة.

كل غرفة تحمل رقمًا... ما عدا واحدة.

غرفة بلا رقم.
بابها رمادي باهت، وكأن الزمن نفسه لا يعرف إن كان قد دخلها أم لا.

**

فتح الباب.

الداخل... لم يكن كما يتوقع.

كان مظلمًا بالكامل، لا نوافذ، لا أثاث،
ما عدا مرآة طويلة في الجدار المقابل، وطاولة واحدة...
فوقها دفتر أسود.

اقترب.

فتح الدفتر...
فوجد الصفحة الأولى تحمل اسمه، وتاريخًا لم يصل إليه بعد.

"آدم شرف الدين – الغرفة رقم (0) – 17 مايو 2025"

نظر إلى ساعته... كان التاريخ اليوم هو 16 مايو.

**

وفجأة... ظهرت الجملة:
"إن قرأتها... ستدخل."

أغلق الدفتر بسرعة.
لكن الجدران بدأت تتحرك.

نعم، تتحرك.

المرآة في الجدار بدأت تُظهر مشاهد لم يرها منذ الطفولة...
– صراخه في الحديقة وهو يضحك وحده.
– وجه الطبيب الذي قال له: "المرض ليس فيك، بل حولك."
– والده... يصرخ على والدته: "لم يكن يجب أن نعيده!"

**

وقبل أن ينهار تمامًا... ظهرت تلك الفتاة.

نفس الفتاة.

قالت بهدوء، دون أن تتحرك شفتاها:

– "الغرفة رقم صفر... ليست مكانًا.
إنها قرار.
إما أن تدخل... وتفتح كل الأبواب،
أو تهرب... وتبقى هنا إلى الأبد."

**

وسمع الصوت من الداخل، يشبهه كثيرًا:

– "أدخل، آدم... نحن ننتظرك منذ زمن."

أغلق عينيه.

وحين فتحهما...

كان في مكان آخر.

**

لا أرض، لا سماء.
مجرد فراغ أبيض، وصوتٌ يأتي من داخله، من طبقات لم يعرفها من قبل.

– "آدم... أنت كتبتني ذات مرة حين خفت أن تموت.
لكنك نسيت.
أنا... الجزء الذي نجا حين انهرت."

إلتفت بتوجس فوجد عبارة كتبت على الجدار الأبيض:

> "لكي تُشفى... يجب أن تموت أولاً."

هاجر.... الذاكرة المعلقة

"هناك أشياء لا نتذكرها... لأنها لو ظهرت، لأحرقَتنا."

كان الصباح رماديًّا.
ضوء الشمس لا يصل، كأن السماء أغلقت بابها.

استيقظ آدم... ولم يكن في بيته.
وجد نفسه في غرفة غريبة الجدران، تتوسّطها مرآة دائرية،
وعلى الأرض دوائر طباشيرية، بداخلها كلمات لا تُفهم.

كان في الغرفة رقم (0).

لكن لم يكن وحده.

هاجر... كانت هناك.

جالسة في الزاوية، تنظر إليه بعينين لا تشبهان من التقاها سابقًا.
كانت تشبه شخصًا استيقظ من كابوس، ليكتشف أنه ما يزال نائمًا.

**

قالت بهدوء:

– "هل سمعت صوتهم؟"
– "أي صوت؟"
– "الذين يكتبون داخلنا حين نصمت."
– "من أنتِ يا هاجر؟"
– "أنا مثلك... رسالة لم تُقرأ بعد."

**

رفعت يدها، وأشارت إلى الجدار.

ظهرت فجأة نافذة سوداء، مشاهد تتتابع بسرعة:

> فتاة صغيرة تركض في شوارع قريتهم.
صوت أمّ تصرخ: "لا تذهبي إلى هناك!"
باب قديم، خلفه ظلال تتحرك.
يد صغيرة تفتح الباب... ثم صراخ.

قالت هاجر:

– "في هذه القرية... اختفى خمسة أطفال في سنة واحدة.
لكن لم يكتب أحد عنهم شيئًا.
كأنهم لم يوجدوا."

– "وكنتِ واحدة منهم؟"
– "لا.
كنتُ الشاهدة الوحيدة.
ولم يصدقني أحد."

**

صمتت قليلًا، ثم أكملت:

– "بعد تلك الليلة... بدأوا يقولون إنني أتخيل.
لكنني كنت أسمعهم كل ليلة...
أصواتهم، داخل الجدران.
ثم بدأت تصلني رسائل.

كأن أحدهم كان يحاول أن ينقذني من النسيان."

**

آدم اقترب منها.
قال:

– "وهل كانت تشبه رسائلي؟"
– "ليست فقط تشبهها... هي نفس الكلمات."

**

في تلك اللحظة، بدأ الجدار يتحول من صلب إلى طري...
كأنه يُذوَب، ليكشف ما خلفه.

كان هناك باب آخر.
باب لم يُفتح منذ سنين.

قالت هاجر:
– "كل من قرأ الرسائل... عليه أن يدخل.
هذا الباب سيأخذنا إلى حيث بدأت اللعنة."

**

فتح آدم الباب.

ودخلا معًا.

**

لم تكن قرية.

كانت نسخة مشوّهة من القرية.
كأنها صورة مطبوعة على ورقة مُبلّلة.

كل شيء مائل.
السماء رمادية، الأشجار مقلوبة، المنازل بدون أبواب.

ثم ظهر الأطفال.

خمسة... وجوههم مغطاة بقماش أسود،
لكن أحدهم اقترب...
وكشف القماش.

وكانت وجه آدم.

**

– "أنت كنت الأول."
– "ماذا؟"
– "أنت... بدأت كل شيء."
– "لا! أنا لا أذكر!"
– "لأنك طلبت أن تُمحى ذاكرتك.
لكنك نسيت... أن الذاكرة لا تُمحى، بل تُخبّأ."

**

هاجر سقطت على الأرض.
الضوء خفّ، وبدأت همهمات تملأ المكان.

جملة واحدة كانت تتكرر في الأرجاء، بأصوات مختلفة:

> "حين يكتبك الظل... لا تعُد كما كنت."

**

صرخ آدم:
– "كفى! من أنتم؟! ماذا تريدون؟!"

ورد الصوت من داخله هذه المرة:

– "نريد الحقيقة، التي دفنتها منذ سنين.
نريدك أن ترى ما حاولت نسيانه."

**

واختفى كل شيء.
وعاد إلى الغرفة رقم (0)...
لكن هاجر لم تكن هناك.

بل كانت جملة واحدة مكتوبة على المرآة:

> "إما أن تُنقذها... أو تُصبح مثلها."

مرآة لا تعكس وجهك

"أخطر ما قد تواجهه في حياتك... ليس ماضيك، بل تفسيرك له."

استفاق آدم على صرير مرعب.
لكنه لم يكن في سرير.
كان مُعلّقًا بين مرآتين.

واحدة أمامه... تعكس صورته كما يعرفها.
والأخرى خلفه... تعكس شيئًا لا يشبهه.

شيئًا يشبهه... فقط في الألم.

**

– "آدم..."
صوت بلا مصدر.
لكنّه يعرفه.

إنه هو...
لكنه أكثر ظلامًا.
أكثر هشاشة.
أكثر جُرحًا.

قال الظل:

– "أنا ما تركته خلفك حين قررت أن تنسى."
– "أنا لا أريد أن أراك."
– "لكنني لم أذهب يومًا... أنا فقط انتظرت اللحظة المناسبة."

**

المرآة التي خلفه بدأت تتكسر.
ومع كل شظية، كان يصرخ.

لكنه لم يكن يصرخ بصوت.
كان يصرخ بذكريات.

> – صورة قبر والده، والناس تنظر له لا إلى صورة أبيه.
– لحظة تمزق دفتره في الابتدائية لأنه كتب عن الخوف.
– نظرة أباه حين قال له: "أنت تبالغ، توقف عن التمثيل."

قال الظل:

– "أنت كذبت على نفسك كثيرًا يا آدم.
فبدأت تصدق الكذبة."

**

ثم ظهر باب في وسط الغرفة.
خلفه... هاجر.

لكنها كانت مختلفة.

شاحبة، صامتة، كأنها في غيبوبة،
وفوق جبهتها... وشم يشبه الحرف (ح).

قال الظل:

– "كل حرف هو ذكرى.

وهذا الحرف... يعود لك."

– "أنا لم أؤذِها!"
– "بل أنت السبب في دخولها هذه المتاهة.
أنت من أرسل الرسالة الأولى."

**

سقطت الأرض من تحت قدميه.
وبدأ يهبط في بئر بلا نهاية.

وفي كل لحظة... يرى نفسه في أعمار مختلفة:

> – طفل يبكي في الظلام.
– مراهق يقفز من فوق سطح منزله ليهرب من صوت أمه وهي تبكي.
– شاب يكتب رسالة... ولا يعرف لمن.

**

توقف السقوط.

كان في غرفة دائرية، بلا أبواب،
وفي منتصفها مرآة... عليها عبارة:

> **"واجهني... لنخرج معًا، أو لنمت معًا."**

اقترب آدم... ولم يرَ نفسه.

رأى هاجر.

لكنها كانت تبكي... وتقول:

– "أعدني."
– "أعدني حيث لا يسمعني أحد."

**

سمع صوتًا خلفه...
كان صوت الدكتور عمران، الطبيب النفسي الذي التقاه قبل سنوات، والذي كان الوحيد الذي صدّقه.

قال له:

– "كنت أريد مساعدتك، يا آدم.
لكنك اخترت أن تكون وحدك.
والآن... لن تخرج من هنا إلا إذا أنقذت ما تبقى منك."

**

ظهرت ثلاث أبواب:

1. باب يحمل صورته وهو في الخامسة.

2. باب عليه صورة هاجر.

3. باب بدون شيء... فقط ظلام.

قال الصوت:

– "اختر بابًا، لكن اعلم...
أن الباب الذي لا يحمل شيئًا، هو الذي يحمل كل شيء."

**

تردد... لكن في النهاية، مشى نحو الباب الثالث.

مد يده...

وفتح الباب.

الحجرة البيضاء

"بعض الأبواب... ليست ممرًا، بل اختبارًا لمن يطرقها."

فتح الباب الثالث...
فلم يجد ظلامًا.
بل نورًا مبهرًا.

كان الضوء أبيضًا لدرجة أعمته للحظة،
حتى ظن أنه مات.

لكنه لم يكن موتًا.
بل عودة.

**

كان في غرفة بيضاء بالكامل، لا تحتوي شيئًا... سوى مرآة بلا انعكاس، وساعة جدارية لا تتحرك عقاربها.

ثم ظهرت فتاة.
ليست هاجر.
ولا يعرفها.

لكنها اقتربت وقالت:

– "أنا أنت... حين كنت بريئًا."

**

جلس على الأرض، بصمت.

قال:

– "لماذا أنا هنا؟"
– "لأنك بدأت تطرح الأسئلة."
– "أي أسئلة؟"
– "الأسئلة التي تُكسر بها المرايا."

**

نظرت إلى الساعة.

قالت:

– "الوقت لا يتحرك هنا… لأنه لا يجب أن ننسى."

**

فجأة، تغير لون الغرفة.
من الأبيض… إلى الرمادي… ثم الأحمر.

بدأت تظهر على الجدران كلمات:

> – "كلنا مررنا من هنا."
– "أنت آخر من تذكّر."
– "الهروب لم يكن يومًا شفاء."

**

ثم ظهرت هاجر… لكن بشكل مختلف.

كانت تمشي داخل دائرة من الضوء،
وفي يدها صندوق صغير.

اقتربت منه، نظرت إليه نظرة حزينة،
وقالت:

– "كنت أبحث عن هذا منذ زمن... لكنك كنت تخبئه عني."

– "أنا؟ ما هذا؟"
– "ذاكرتك... التي دفنتها داخلي."

**

فتحت الصندوق.

وفجأة، ارتفع صراخ أطفال...
ثم صوت باب يُغلق بعنف...
ثم كلمات غير مفهومة، كأنها تُتلى من كتاب قديم.

قالت هاجر:

– "أنت من كتب أول السطور...
لكنك خفت أن تكمل الرواية."

**

الأرض اهتزّت.
وظهر "الظل" من جديد.

قال لآدم:

– "كل ما خفته... عاد.
كل ما أنكرته... يُطالب بالاعتراف."

**

اقترب منه، ووضع يده على كتفه.

– "لكن لا تقلق...
لن تواجهه وحدك."

**

ثم اختفى الضوء...
وظهر جدار واحد، كُتب عليه:

> **"اللعنة لا تبدأ حين تظهر... بل حين تُنكَر."**

**

نظر آدم إلى هاجر.

وسألها:

– "هل سنخرج من هنا؟"
– "لا...
سنعود إلى حيث بدأ كل شيء."

**

وفي لحظة واحدة...

كانا واقفَين أمام المدرسة القديمة.
مقفلة.
منسية.

لكن صوتًا خرج من داخلها:

> **"مرحبًا بعودتك... آدم."**

الدرس الذي لم يُدرّس

"في القرى الملعونة، المدارس لا تُخرِّج طلابًا... بل تبتلعهم."

وقف آدم وهاجر أمام باب المدرسة الصدئ.
كان الهواء ساكنًا، كأن القرية كلها تنتظر هذه اللحظة.

نظر إليها.

– "هل دخلتِ هذه المدرسة من قبل؟"
– "لا... لكنها كانت تظهر لي كثيرًا في الأحلام."

**

دفع الباب بصعوبة...
وصدر منه صرير غريب، يشبه أنينًا بشريًا.

الداخل كان مظلمًا،
لكن الجدران مغطاة برسومات أطفال...
مرسومة بدم.

**

بدأا بالتجول بين الفصول المهجورة،
كل فصل يحمل اسمًا:

> – فصل النسيان.
– فصل الإنكار.
– فصل الاعتراف.

– وفصل لا اسم له.

**

وقفا أمام الفصل الأخير.

هاجر قالت:

– "هذا الفصل... يُقال إنه لم يُفتح أبدًا.
كانوا يظنون أنه لا باب له."

لكن آدم رأى الباب.
وشعر أن قلبه يدقّ كما لم يفعل من قبل.

**

دخل.
كان الفصل شبه مظلم،
لكن في وسطه...
مكتب.

وعلى المكتب... دفتر قديم.

**

فتحه.

فوجد اسمه.

> "الطالب: آدم شرف الدين."
الصف: اختفاء الحقيقة.
الموضوع: اكتب ما لا يجب أن يُقال."

**

تجمّد.

ثم ظهرت يد تكتب خلفه.
لم يرَ من يكتب…
لكن الكلمة الأولى كانت:

> **"القرية لم تكن ملعونة… نحن من لعنّاها."**

**

انقلبت الغرفة فجأة،
وصار كل شيء يدور.

الرسومات على الجدران بدأت تتحرك،
الأطفال المرسومون بدأوا يخرجون من الحائط…
يبكون.

قال أحدهم:

– "أنت كنت السبب… لقد رأيت ولم تتكلم."
– "كنت معنا حين بدأ الطقس."

**

سقط آدم على ركبتيه.

صرخ:

– "ماذا فعلتُ؟! أخبروني!"
– "أنت لم تفعل شيئًا...
وهذا كان أسوأ من الفعل."

**

ظهر "الظل" مرة أخرى، لكن هذه المرة كان طفلاً صغيرًا.
اقترب منه، وقال:

– "عد إلى يوم الاختفاء الأول...
تذكّر من اختفى قبل أن تختفي الحقيقة."

**

ثم اختفى الجميع.

وظهر مشهد واحد فقط:
ساحة المدرسة.
وطفلٌ يُسحب إلى الداخل من قِبل رجل غريب الوجه...
وعيناه تتجهان إلى آدم...
الذي وقف بعيدًا، دون أن يتحرك.

**

هاجر، التي كانت تراقب كل شيء، بدأت ترتعش.

قالت:

– "الطفل... إنه أخي."

آدم بصوت مبحوح:

– "وأنا... أنا رأيت ولم أفعل شيئًا."

**

عاد كل شيء إلى السواد.
وصوت هادئ يقول:

> "من لم يُنكر الظلم... كان شريكًا في اللعنة."

صوت من الماضي

"الحقيقة لا تضيع... هي فقط تنتظر من يملك الشجاعة لفتح بابها."

حين فتحت هاجر عينيها، كانت في منزلها.

لكنها لم تذكر كيف خرجت من المدرسة.

كل شيء بعد اللحظة التي اعترف فيها آدم... أصبح ضبابًا كثيفًا.

**

أما هو، فقد وجد نفسه جالسًا في المقبرة القديمة.

أمام قبر لم يكن موجودًا في الليلة السابقة.

قرأ الاسم المحفور عليه:

> **"يونس عبد السميع – الطفل الذي نُسي."**

وشهق.

**

في تلك اللحظة...

رنّ هاتف قديم كان في جيبه.

لم يكن لهاتفه أي خدمة أو شبكة.
لكنه رنّ.
ورفعه.

وصوت خافت قال:

– "لو كنت تذكر، لما احتجنا لكل هذا."
– "من أنت؟"
– "أنا التحقيق الذي لم يُنجَز... والصرخة التي لم تُسمَع."
– "أين أنت؟"
– "عد إلى مكانك الأول... حيث بدأت اللعنة."

**

وفي ذات اللحظة، في طرف القرية،
وصلت سيارة قديمة.

رجل نزل منها، يحمل أوراقًا، ويبدو عليه التعب والقلق.
كان هو... المحقق عارف الهادي.

**

دخل إلى مكتب رئيس البلدية،
وقال بصوت حاد:

– "عادت اللعنة."
– "أي لعنة؟ هذا كلام خرافات."
– "أنا كنت هنا قبل 18 سنة، حين اختفى الطفل الأول.
وعدت لأن نفس الطفل... وجدوه الآن في قبر لم يُسجَّل."

**

خرج عارف من المكتب،
وذهب مباشرة إلى المدرسة المهجورة.

هناك... وجد آثار أقدام صغيرة على الأرض...
وواحدة كبيرة، تتوقف عند الباب الثالث.

**

في منزلها، بدأت هاجر تفتح دفاتر قديمة تركها أخوها.

صفحات مليئة برسوم مخيفة...
وعبارات غير مفهومة، لكنها كلها كانت تشير إلى شيء واحد:

> **"هو ليس معلمًا، هو كيان."**

وفي إحدى الصفحات، وجدت اسمًا مشطوبًا بعنف:

> **"أ.س."**

قالت في نفسها:

– "لا أحد من المعلّمين اسمه يبدأ بحرف السين..."

**

وفي نفس الوقت، في المقبرة،
وجد آدم شيئًا مدفونًا بجانب القبر:
صندوق صغير.

فتحه.

داخله شريط كاسيت قديم... وعليه مكتوب:

> "تسجيل من الصف الأخير – لا يُسمَع وحدك."

**

عاد آدم إلى منزل مهجور عرفه في طفولته،
أشعل المسجّل.

وخرج صوت أنثوي:

– "الدرس الأخير اليوم... هو كيف تختفي دون أن يلاحظك أحد."

ثم ضحكات أطفال...
ثم صراخ مفاجئ...
ثم صوت يقول:

– "آدم، أغمض عينيك... وإلا ستراننا جميعًا."

**

في اللحظة ذاتها، كان عارف يفتح ملفًا قديماً من أرشيفه.

كتب فيه:

> "اسم المعلم المشتبه به: سليم الحاج."
آخر مكان شوهد فيه: داخل المدرسة.
لم يخرج بعدها قط."

**

وفي أسفل الصفحة، بخط مائل:

> **"هذا الرجل... ليس من هنا."**

الاجتماع الأول

"حين تتلاقى المسارات، لا تعود الأسئلة كما كانت... بل تصبح أنت السؤال."

السماء كانت رمادية، وكأنها تحبس المطر لأجلٍ أبدي.

آدم جلس على حافة جدار مهدم في أطراف القرية،
والمسجل لا يزال يكرر العبارة الأخيرة:

> "آدم، أغمض عينيك... وإلا ستَرانا جميعًا."

**

كان يشعر بشيء يتنفس خلفه... لكنه لم يلتفت.

**

في مكان آخر، كانت هاجر تتجه نحو بيت المحقق "عارف الهادي"، بعدما وجدت اسمه في سجل قديم تحت عنوان:
"التحقيق الذي لم يُكمل."

طرقت الباب.

فتح عارف، نظر إليها لحظة، ثم قال:

– "أنت... أخت الطفل الأول."
– "وأنت الرجل الوحيد الذي حاول أن يسأل."
– "لكنني لم أملك الشجاعة حينها.
هذه المرة، لن أهرب."

**

في نفس الليلة، اجتمع الثلاثة لأول مرة...
في بيت خالٍ إلا من الخرائط والملفات.

قال عارف، واضعًا صورة قديمة على الطاولة:

– "هذا هو سليم الحاج. المعلم الغريب الذي لم يملك أوراقًا رسمية.
دخل المدرسة سنة واحدة فقط... واختفى بعدها."
– "هل تعتقد أنه سبب كل ما حدث؟"
– "لا... هو مجرد مفتاح."

آدم تحدث أخيرًا:

– "أنا رأيت شيئًا داخل المدرسة.
شيئًا لا ينتمي لهذا العالم."
– "نحن لا نواجه رجلًا، بل فكرة...
والأفكار لا تُقتل، لكنها تُفكّك."

**

هاجر أخرجت دفتر أخيها:

– "كانوا يجبرونهم على تكرار طقوس في الصف الأخير.
وكان يكتب كلمة واحدة مرارًا:

نحن لسنا وحدنا."

**

ثم انتقل الحديث إلى الشريط المسجل.

عارف قال:

– "الصوت الأنثوي في الشريط... ليس لإنسانة."
– "كيف؟"
– "لأنها تردد كلمات لم تُخلق بعد."

**

توقفوا لحظة.
ثم قالت هاجر:

– "متى كانت أول حادثة اختفاء في القرية؟"
– "منذ عشرين سنة."
– "لكن هناك قبور قديمة أكثر... قبور لأطفال... بلا أسماء."

**

آدم بدا شاحبًا:

– "أتذكرون حين قلت إنني رأيت ولم أتكلم؟
كانوا يخرجون الأطفال ليلًا... في طابور...
وكنت أظنها لعبة."

عارف نظر إليه طويلاً:

– "أنت لست مجرد شاهد...
أنت المفتاح."

**

ثم وضع شيئًا على الطاولة...
ورقة ممزقة نصفين، كتب عليها بخط مرتجف:

> "الكيان ليس مخلوقًا... بل توليفة من ذنوبنا."
"إنه يتغذى على التجاهل... ويكبر بالصمت."

**

قال عارف:

– "إذا أردنا مواجهته، علينا أولًا أن نُسمّيه."
– "وما اسمه؟"
– "اسألوا الأطفال الذين اختفوا... إن كنتم تجرؤون."

**

وفي اللحظة ذاتها، انقطعت الكهرباء.
وظهر ظل ضخم على الحائط،
عيناه حمراوان... كأنهما محترقتان من الداخل.

**

وصوت يقول:

> – "تجرأتم كثيرًا... الآن حان دوري."

أولى المواجهات

"بعض الظلال ليست ناتجة عن النور... بل عن أرواح سقطت في بئر النسيان."

الهدوء الذي تلا الصرخة... كان أخطر من الصرخة ذاتها.

في بيت المحقق، توقفت عقارب الساعة.

الظل على الجدار لم يتحرك...
لكن الهواء أصبح أثقل. كأن شيئًا لا يُرى... يجلس في المنتصف.

هاجر أمسكت بيد آدم، وهمست:

– "هل... هل هو هو؟"
– "لا أدري... لكنه ليس مثل ما رأيته من قبل."

المحقق عارف... لم يتكلم.
بل رفع مسدسه القديم، وأطلق طلقة نحو الجدار.

اختفى الظل.

لكن رائحة الدخان... لم تكن من الطلقة.
كانت من الجدار ذاته... كأن شيئًا احترق فيه.

**

في اليوم التالي، اتفق الثلاثة على العودة إلى المدرسة القديمة.

لكن ليس من الباب.

بل من أسفل الأرض.

**

قادهم عارف إلى نفق مهجور خلف المقبرة،
وقال وهو يمسح العشب الجاف:

– "هذا الممر كان مخصصًا للهروب من المدرسة زمن الاستعمار…
لكنهم أعادوا استخدامه لاحقًا."

سأل آدم:

– "من هم؟"
– "كل من أرادوا إخفاء الحقيقة."

**

كان الظلام داخل النفق خانقًا.

همس صوت من داخله:

– "العودة ممنوعة… الرجوع موت."

لكنهم لم يتوقفوا.

**

وصلوا إلى قبو المدرسة.
وجدوا بابًا حديديًا... عليه قفل من الطراز القديم.

كسره عارف.

ودخلوا.

**

في الداخل، لم تكن هناك صفوف... بل
مدرج على شكل دائرة، يتوسطه كرسي صغير، ومرآة مشقوقة.

على الجدران، كانت أسماء محفورة:
"نور الدين – هالة – سراج – رنيم – بدر..."

قالت هاجر بصوت مكسور:

– "أخي كتب هذه الأسماء في دفتَره.
هؤلاء... زملاؤه الذين اختفوا."

**

اقترب آدم من الكرسي.

رأى عليه دفترًا واحدًا، مغطى بالتراب.

فتحه...

ووجد فيه صفحة واحدة فقط، مكتوب فيها:

> **"الذي يجلس هنا... يرى كل شيء."**

نظر إلى المرآة...

ورأى شيئًا لن ينساه أبدًا.

**

رأى نفسه.

لكن ليس كما هو.

بل طفلاً صغيرًا، يرتدي زيًا مدرسيًا،
تجلس خلفه امرأة دون وجه...
تضع يدها على كتفه...
وتهمس في أذنه:

– "أنت كنت السبب... أنت مَن دلّهم علينا."

**

صرخ آدم وسقط على الأرض.

عارف أمسكه بقوة:

– "ما الذي رأيته؟"
– "أنا... كنت معهم.
أنا أخبرت المدير عن أحد الأطفال.
هم اختفوا بسببي."

**

صمت ثقيل... ثم قالت هاجر:

– "إنه يتغذى على ذنوبنا، ليس فقط على صمتنا.
لكنه لا ينسى.
نحن كلما اقتربنا من الحقيقة... نقترب من أنفسنا."

**

فجأة، ارتجّت الأرض.

وارتفع صوت عميق من خلف الجدران:

> – "أنتم أول مَن دخل... ولم يَخَف."
– "لكن الشجاعة... لن تنقذكم الآن."

**

الجدران بدأت تتشقّق.

المرآة انفجرت.

ومنها... خرج دخان أسود، شكَّل جسدًا يشبه هيئة إنسان،
لكنه دون ملامح.

وصرخ:

– "الدرس الأول... لم ينتهِ بعد."

أصداء الذنب

"حين تختلط الحقيقة بالندم... يصبح كل صوتٍ صدىً لما لم يُقال."

الجدران كانت تنكمش، كما لو أنها تتنفس بصعوبة.
والدخان الأسود بدأ ينسحب رويدًا... يتجسد. يتكوّر.

هاجر تماسكت. وقفت أمام "الكيان" وقالت:

– "لن نعود أدراجنا. لن نخاف."
ضحك الكيان بصوت أجوف:

– "أنتم لا تعرفونني بعد... أنتم فقط تعرفون أنفسكم."

**

فجأة... توقفت الأرض عن الارتجاج.
وتبدد الظلام...

ليجد الثلاثة أنفسهم في مكانٍ آخر.

لم تعد المدرسة حولهم. بل ساحة ترابية قديمة.

وعلى الجانب الآخر... مجموعة من الأطفال.

وجوههم شاحبة... أعينهم مظلمة.

وقف أحدهم وقال لهاجر:

– "لماذا لم تُنقذينا؟ كنتِ هناك... كنتِ ترين!"
صرخت:

– "أنا كنت طفلة!"
– "كنت تعرفين أن ما يحدث ليس طبيعيًا... وسكتي."

**

ثم التفت طفل آخر إلى عارف:

– "وأنت... أنت كنت تعرف أن المدير يأخذنا ليلًا، ويعود وحده."
– "كنت تعرف... وأغلقت ملف التحقيق."
– "هل ظننت أن عدم الكتابة يعني النجاة؟"

**

ثم نظروا إلى آدم.

قالت طفلة صغيرة:

– "وأنت... أنت دللتَهم علينا."
– "تريد أن تتطهّر الآن؟ بعد ماذا؟"
– "من يخون مرة... لا يُغفر له."

**

سقط الثلاثة على الأرض.

وكأن كلاً منهم حمل جبلًا من ماضيه.
الكيان لم يكن مخلوقًا فقط...
بل مرآة كبيرة، لا تعكس الوجوه، بل الأرواح.

**

قال عارف بصوت مبحوح:

– "الكيان... ليس هو العدو."
– "العدو... هو ما سمح له أن ينمو."
– "تجاهلنا... ضعفنا... خوفنا."

**

هاجر همست:

– "ما الذي تريده منا؟"
ورد الكيان:

– "أن تعترفوا.
أول من يعترف... ينجو.
والأخيران... يتحملان الباقي."

**

سكت الثلاثة.

كل منهم ينظر للآخر.

ثلاثة ذنوب.

ثلاثة مصائر.

**

فقال آدم بصوت مكسور:

– "أنا أخطأت.
كنت طفلًا... لكني كنت جبانًا.
أردت أن أبدو محبوبًا لدى المدير.
دللتهم على زميلي... واختفى بعدها."

**

نظر إليه الكيان.

ثم التفت نحو عارف وهاجر.

– "الآن... من التالي؟"

**

لكن قبل أن يجيب أحد، سمعوا صوتًا من خلفهم...

صوتًا ناعمًا، مألوفًا، هشًّا.

كان صوت الطفل الذي فقدته هاجر.

قال:

– "كفى يا كيان... كفى.
هم أخطأوا... نعم.
لكنهم الآن يحاولون."

**

اختفى الكيان للحظة...
كأنه خاف من شيء لم نتوقعه.

**

قال عارف:

– "إنه لا يتحمل صوت البراءة.
لأنه خُلق من الخوف والذنب... لا من الصفح."

**

ثم، فجأة، عادوا إلى القبو.

وكان كل شيء كما هو...
إلا أن المرآة تحولت إلى رماد،
والكرسي أصبح مكسورًا.

قالت هاجر:

– "هل انتهى الأمر؟"
رد عارف:

– "لا. هذه كانت المرحلة الأولى.
الكيان لم يُقتل…
لكننا كسرنا صورته الأولى."

**

ثم سمعوا شيئًا من خارج القبو…

أصوات سكان القرية… يصرخون.

قال آدم:

– "اللعنة انتشرت… خرجت من المدرسة."
– "القرية كلها الآن تحت حكم الذنب."

**

القرية التي بدأت تنسى

"حين تُدفن الحقيقة لسنوات، تنمو على شكل كوابيس... ثم تستيقظ كواقع."

الطريق المؤدي إلى وسط القرية كان مهجورًا.

لا صخب، لا أصوات طيور، لا صغار يركضون...
فقط الهواء الملبّد بما يشبه الرماد.

المحقق عارف ترجل من السيارة، وقال:

– "القرية ليست كما تركناها."
آدم تأمل البيوت وقال:

– "كأنها تتنفس شيئًا غير الهواء... شيئًا باردًا."
هاجر تمسكت بقلادتها وقالت:

– "الناس لا يظهرون... لكننا لسنا وحدنا."

**

دخلوا السوق الشعبي، فوجدوهم هناك.

الناس.

لكنهم لم يكونوا أنفسهم.

**

كل شخص كان يبتسم...
العيون فارغة... الحركة آلية.
حتى الكلام، إن حدث، كان بلا نغمة.

– "صباح الخير."
– "صباح النور."
– "كيف حالك؟"

نفس الجمل. نفس الترتيب. نفس التكرار.

قال عارف:

– "هذا ليس طبيعياً."
آدم اقترب من عجوز، سألها:

– "هل تعرفينني؟"

نظرت إليه، ثم ابتسمت، وقالت:

– "نحن جميعًا بخير، بفضل المدير."

هاجر همست:

– "المدير؟ مدير المدرسة؟"

قال العجوز:

– "هو من حافظ على القرية.

أدخلنا النظام.
حمانا من الفوضى."

ثم بدأت تضحك… لكنها لم تكن ضحكة.
كانت أشبه بصرخة مكسورة.

**

ابتعد الثلاثة فورًا.

قال عارف:

– "اللعنة بدأت تتجذر.
ذاكرة الناس تُمسح… وتُستبدل."

آدم سأل:

– "لماذا؟"

هاجر قالت:

– "لأن الوعي بالألم خطر.
الكيان لا يريدنا أن نتذكر."

**

في نفس اللحظة…
انطلقت صفارات إنذار في القرية.

نفس الصوت القديم من المدرسة.

دون تفسير. دون تحذير.

وفجأة، بدأ الناس بالاصطفاف…
كأنهم يعرفون أين يذهبون، وما يفعلون.

**

تبعوهم بصمت.

كانوا يدخلون مبنًى ضخمًا في وسط القرية…
مبنى جديد، لم يكن هناك من قبل.

قال عارف:

– "لم أرَ هذا المكان… من بناه؟"

آدم قال:

– "كأنه خرج من تحت الأرض."

**

في الداخل، كان الناس يجلسون في صفوف، وكل واحدٍ يواجه مرآة.

وكانت المرايا سوداء.

فجأة، خرج صوت عميق من مكبرات الصوت:

> – "كلٌّ مَن يرفض صورته… يُعاد تصحيحه."
– "كلٌّ مَن ينسى، يُعاد تشكيله."
– "نحن أبناء النظام، لا نحتاج للذكرى."

**

قالت هاجر:

– "هذه ليست طقوسًا... هذه غسيلٌ للذاكرة."

**

عندما اقتربوا من آخر القاعة، وجدوا ما لم يتوقعوه.

الطفل الذي أنقذهم... مقيّد أمام مرآة.

دموعه تنهمر، وصوته يرتجف:

– "قالوا لي أنني أختار... إما أن أنسى... أو أموت."

صرخت هاجر:

– "لا!!"

ركضت نحوه، لكن شخصًا وقف في وجهها.

كان رجلاً في الأربعين... يرتدي زيًا رسميًا.

عيناه زجاجيتان.

قال:

– "مرحبًا بكِ مجددًا يا هاجر... نسيتِني؟
أنا المدير."

**

صمت.

كل شيء سكت فجأة.

حتى الكيان في المرآة توقف.

قال عارف:

– "هو ليس المدير فقط... هو أول صورة خلقها الكيان."

**

قال المدير:

– "أنا لست كائنًا من الماضي.
أنا الحاجة للسيطرة.
أنا صوت الداخل حين يختار الصمت على المقاومة."

ثم أشار إلى الناس في القاعة:

– "هؤلاء... اختاروا الصمت.
الآن... حان دوركم."

**

قال آدم:

– "نحن لن ننسى. ولن نسكت."

قال المدير بابتسامة صفراء:

– "جميل. إذًا ستذوقون التجربة كاملة."

**

وانطفأت الأنوار.

**

الغرفة التي لا تفتح إلا من الداخل

"ليست كل الأبواب تُفتح بالمفاتيح... بعضها لا يُفتح إلا حين تغلق كل نوافذك على ذاتك."

ظلام دامس.

هاجر فتحت عينيها ببطء.

لم تكن في القاعة.
ولا في القرية.
ولا حتى في جسدها.

كانت عائمة في مكان بلا أرض، بلا سماء.

ثم سمعت صوتًا:

– "أهلاً بكِ في مرآتك."

**

في جهة أخرى...
كان آدم يركض في ممر ضيق.
كلما عبر بابًا، وجد نفسه في غرفة طفولته.
ذات الألوان الجميلة. ذات السرير المريح.
لكن الصورة المعلقة على الجدار كانت تتحرك.

ثم سمع صوت أبيه يقول:

– "لماذا لم تخبرنا؟ لماذا سكتَّ؟"

قال آدم:

– "كنت خائفًا..."

ورد الصوت:

– "لا، كنت تختبئ.
الخوف لا يسكت، لكنك أنت... من اخترت."

**

وفي مكانٍ ثالث، وجد عارف نفسه في مكتب قديم.
كأن الزمن يعود عشرين سنة للوراء.
جلس أمام ملف مفتوح.
وفيه صور الأطفال المختفين.

ثم سمع صوت زميله القديم، الصحفي:

– "كان عليك أن تكتب."
قال عارف:

– "لو كتبت، كنت سأُطرد. كنت سأُسجن."
– "وهم خُطفوا رغم صمتك.
ما الفارق؟"

**

في هذه اللحظة، انشق الفضاء أمامهم.

ثلاث مشاهد، ثلاث مرايا، ثلاث مواجهات.

الكيان لم يكن يهاجم.
كان ينتظر.

لأنه لا يحتاج القوة.

الندم يكفي.

**

في عالم هاجر، ظهر الطفل مرة أخرى.

قال:

– "أمي..."

نظرت إليه، خائفة من قولها... لكنها قالت:

– "نعم... أنا أمك.
وتركْتُك.
ظننتُ أن الهروب من الذكرى سينقذني.
لكني كنتُ أهرب منك."

ابتسم الطفل... وذابت صورته.
واشتعل المكان بنور خفيف.

**

في عالم آدم...
وقف أمام صورته في المرآة.

قال:

– "أنا ذلك الطفل الذي أراد أن يُحَب.
فسلّم صديقه ليكسب حضنًا زائفًا."

ثم مزق الصورة، وقال:

– "لكنني لن أكون هكذا مجددًا."

وتكسرت المرآة.

**

عارف... كان الأصعب.

الملف أمامه. القلم في يده.

قال:

– "آن الأوان أن أكتب.
ولو لم يقرأ أحد."

وكتب بخط واضح:
"المدير كان يعلم."

وما إن كتبها... حتى انفتح الباب.

**

ثلاثتهم اجتمعوا من جديد.
أمامهم قاعة بيضاء، وفي وسطها المرآة السوداء الكبرى.

قال الكيان:

– "الآن فقط... يمكنني أن أموت."

**

اقتربوا منها.

كلٌّ وضع يده على السطح البارد.

وقال عارف:

– "لسنا هنا للانتقام."
وقالت هاجر:

– "بل للاعتراف."
وقال آدم:

– "ولكي نحكي القصة... هذه المرة كاملة."

**

وتشققت المرآة...

لم يخرج منها شيء.
بل دخل إليها الضوء.

**

وانهارت القاعة.

وعادوا للقرية.

لكن القرية لم تكن كما كانت.

الأشخاص بملامحهم... عادوا للوعي.

العيون عادت تُبصر.

والطفل... الطفل الذي كان يجلس في قلب المرآة...

...ركض نحو هاجر، وقال:

– "أنا بخير الآن."

**

حين سكنت الأرواح

"القرية لم تكن مسكونة... بل نحن من كنّا مسكونين."

صباح هادئ.

الشمس تلامس جدران البيوت القديمة، كما لو أنها تزور أماكن لم يُسمح لها بالدخول من قبل.

الهواء أصبح أخف.

صوت الماء في الجدول عاد.

ورائحة الخبز خرجت من نوافذ البيوت.

لكن الأهم... كانت الوجوه.

الوجوه التي استعادت لونها. نظرتها.

الناس بدأوا يتحدثون بلا تكرار.

يسألون أسئلة حقيقية.
يضحكون... ويبكون.

هاجر جلست على عتبة بيتها، والطفل يضع رأسه على ركبتها.

قالت له:

– "هل تتذكر كل شيء؟"

قال بصوت نائم:

– "نعم... لكن لم أعد أخاف منه."

**

في مركز القرية، اجتمع الناس.

وقف عارف يحمل أوراقه.

بدأ يقرأ:

– "كنا نعتقد أن اللعنة في التربة... في الكيان...
لكنها كانت في ما دفنّاه من وجع، في ما رفضناه من مواجهة.

كنا نظن أن نسيان الماضي راحة...
لكن الراحة الحقيقية تبدأ حين نروي القصة... ونسمح لأنفسنا أن نشفى."

**

آدم وقف على أطراف السوق، يراقب الأطفال يركضون.

ثم التفت إلى عارف وقال:

– "هل سنرحل؟"

رد عارف:

– "ربما... أو ربما نظل لنكتب القصة."

هاجر قالت:

– "أعتقد أن القرية تحتاج من يحكيها...
لا من يهرب منها."

**

وقبل أن تغرب الشمس...
اجتمع الثلاثة أمام المدرسة.

كانت أبوابها مفتوحة.

لكنّها فارغة.

**

على الحائط، وُجدت الجملة مكتوبة:

"كل ذاكرة تموت إن لم تُروَ... وكل قصة تُشفى إن سُمح لها بالخروج."

**

ابتسم عارف.

ثم قال:

– "حان وقت كتابة الحقيقة."

خاتمة

"حين تسكنك الأشياء: الفجوة بين من نظنه نحن، ومن نحن حقًا"

بقلم: نهيلة الزهيري

جلستُ أخيرًا في صمتٍ تام، لا أسأل شيئًا، ولا أهرب من شيء.
الأشياء التي سكنتني ذات عمرٍ مضى لم تعد غريبة، ولم أعد أخشاها.
أدركتُ أن كل ندبة، كل سؤال، كل انكسار، كان يحمل في جوفه شيئًا من الحقيقة التي ظللت أهرب منها.
كنتُ أظنني أبحث عن إجابات، لكنني في الحقيقة كنت أبحث عني.

غادرت الأصوات، وانطفأت الصور، وبقيت أنا...
أقرب إلى نفسي من أي وقتٍ مضى،
غريبٌ عنها... لكنني أخيرًا أراها.

ربما لن أُشفى تمامًا،
لكنني لن أهرب بعد الآن.
فحين تسكنك الأشياء، إما أن تنكسر تحت ثقلها،
أو تتعلّم كيف تنظر لها في عينيها... وتُكمل الطريق.

"ليست الكارثة أن تضلّ الطريق، بل أن تعتاد الغربة عن نفسك حتى تظنّها الوطن.
ابحث عنك في كل ما خفت أن تواجهه، ففي قلب الظلمة، يبدأ الضوء الحقيقي."

إلى قارئي العزيز،

شكرًا لأنك سرتَ معي في دهاليز النفس، ولم تخشَ أن ترى ما يسكنها.
إن كانت هذه الصفحات قد لامست شيئًا منك، فأنت لم تكن يومًا وحدك.
أراك في رواية قادمة... بصوتٍ أهدأ، وقلبٍ أصدق.

نهيلة الزهيري
13 أبريل 2025

هذه الرواية

"حين تسكنك الأشياء" رواية نفسية غامضة، فلسفية النَفَس، ومشحونة بالتشويق والرعب الصامت.
فيها لا تبحث عن الكائنات المظلمة خارجك...
بل تستعد لمواجهة الشيء الذي يسكنك منذ زمن بعيد...
وأنت لا تعلم.

"وبين الصمت والكلمات... سكنتني كل الأشيا.... حين تسكنك الاشياء
نهيلة الزهيري."